



سينما

في كتابه «أفلام البلوك بستر والعالم القديم: العجاز والحرب في هوليوود المعاصرة»، يستكشف المؤلف كريس دايفيس الدورة الحالية من ملاحم العالم القديم في السينما ضمن الصلخ الاجتماعي والسياسي الناشئة عن اعتداءات 11 أيلول 2001

زياد منته

يلاحظ مشاهد الأفلام أنه بعد عرض فيلم ريدلي سكوت «غلابايتر» (2000)، شهدت ملاحم العالم القديم انتعاشاً لدى الجمهور واستوديوهات السينما. كتاب «أفلام البلوك بستر والعالم القديم: الحان والحرب في هوليوود المعاصرة» (Blockbusters and the Ancient World: Allegory and Warfare in Contemporary Hollywood

بلوسبيري - 2019) الذي يتخلق من الدراسات الأكاديمية السابقة عن أفلام ملاحم أو ملاحم حقيفة الحرب الباردة في خمسينيات القرن الماضي وستينياته، بما في ذلك أفلام «بن هور» و«سبارتاكوس» و«الرداء»، يستكشف الدورة الحالية لملاحم العالم القديم في السينما ضمن المناخ الاجتماعي والسياسي الناشئ

في ظلّ أحداث 11 أيلول 2001. يقوم مؤلف الكتاب كريس دايفيس العلاقة بين السينما السائدة والمجتمع الأمريكي من خلال تصوير العالم القديم والصراع والإيمان، اعتماداً على دراسة الأفلام المنتجة على خلفية الحرب على الإرهاب والغزوات اللاحقة للعراق وأفغانستان. كما يستكشف كيف تثير هذه الأفلام صورا عن الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام والكابويي في تصوير الحرب في العالم القديم، وذلك يناقش تأثير «نظرية التهجين» والسرد والاستقبال، ويتساءل عن مدى استخدام ملاحم العالم القديم للرمز والقياس والتلميح إلى الماضي والحاضر المتوازين في صناعة تلميها في الغالب قوى السوق.

الكتاب - أستناد محاضر في جامعة إكستر» البريطانية - يتعامل مع مجموعة من أفلام الملاحم ومنها «الإسكندر» و«طرودة» و«300» و«القائد المثة» و«الأم المسيح»، وغيرها، مقدّماً نظرة جديدة إلى التطور المستمر لملاحمالعالم القديم في السينما. يبدأ الكاتب باقتباس من مقالة إيميليا أرتياس

«الفشار والسيرك: غلابايتر ومشهد الفضيلة» حيث تقول: «هذه الروايات القديمة لا تتعلق في النهاية بأبراهام أو بن هور أو بسبارتاكوس أو بماكسيموس أو بشهداء مسيحيين مجهولي الهوية ومئات القادة العسكريين المتحولين عن دينهم، لكن عن انفسنا، أو على نحو أكثر تحديداً، عن مُثلنا التي يتم تقديمها قديماً ملائماً في مظهر مذهل لكنه بعيد عن الأنظار وتؤكد سلطة الماضي». يقول الكاتب إنها تمثل وجهة نظر شائعة في النقد العلمي لملاحم العالم القديم في السينما، الافتراض القائل بأن الأفلام من هذا النوع هي أكثر عن الفترة والثقافة التي يتم إنتاجها منها عن تلك التي يصورونها. على سبيل المثال، يفتح جيفري ريتشاردن - أحد أهم علماء تاريخ الثقافة ونقاد الأفلام - دراسته حول هذا الموضوع بالقول: «إن الأفلام التاريخية هي دائماً عن الوقت الذي صنعت فيه ولا تتعلق أبداً بالوقت الذي تم إعداده فيه». لكن صاحب هذا المؤلف يستدرك بالقول: «في الممارسة، فالمعنى في ملاحم العيالم القديم نادراً ما يكون واضحاً. فتفسير النص السينمائي يتأثر بالأفراد المشاركين في إنتاجه وفي التسويق وفي الاستقبال وفي روح العصر المعاصر وفي دوافع المؤلف وفي مواد المصدر والاستجابة الشخصية للمشاهد».

باعتماد منظور متعدد الثقافو، يقوم هذا المؤلف إلى أي مدى تتفاعل ملاحم العالم القديم الحديثة مع حاضرها أو تجسد موضوعات متكررة في التاريخ والنوع نفسه، وبالتالي يستكشف كيف تطورت الأفلام التي أنجزت بعد فيلم «غلابايتر» مع التركيز على علاقتها بدور الملاحم في منتصف القرن العشرين ودور الحرب في تسهيل التغيير.

يقول الكاتب: «تمتلك ملاحم العالم القديم حوداً من كونها أعمالاً للفن السينمائي ومنتجات صناعة التكاافؤ ضمن مجموعة من المواضيع. اما البحث في هذا المؤلف، فقد تجاوز جوانب التحليلات التاريخية. وقد حار العلماء من مختلف التخصصات كونها نصوصاً متعددة التكاافؤ تضم مجموعة من المواضيع. لكن البحث في هذا المؤلف، فقد تجاوز جوانب التاريخ القديم والحديث والسينمائي والأناسطر والدين والسياسة والنوع ونظرية المؤلف ودراسات الاستقبال والتذكرة والجسد الذكوري».

يلاحظ الكاتب أنه لغاية صدور هذا المؤلف، تم تخصيص غالبية الدراسات عن العالم القديم في السينما لما يمكن القول إنه الفترة الأكثر شهرة وشعبية لهذا النوع، ويرجع تاريخها تقريبا إلى فيلم «شمشون ودليلة» عام 1949 و«الكتاب المقدس» و«الفترة عادة ما يشار إليها باسم دورة الخمسينيات والستينيات التي تتضمن أفلاماً مثل «بن هور» و«الرداء» (1953) و«سبارتاكوس» (1960) و«كليوباترا» «بن هور» و«سبارتاكوس».

لكن شعبية ملاحم العالم القديم تلاتحت خلال الستينيات بسبب مجموعة من العوامل بما في ذلك ارتفاع تكاليف إنتاج ملاحم هوليوود وتخفيف الرقابة في الولايات المتحدة التي حفّزت على تزايد ثقافة الشباب المضادة التي يتم جذبها إلى مجموعة جديدة من المخرجين فقد كان السوق مشبعاً بملاحم رجل العضلات الإيطالية التي تم إنتاجها بضمن بخس وأسهمت في أن تصبح ملحمة الماضي وثمانينياته عبر إنتاج مسلسلات تلفزيونية مثل «مسعدة» (1981) و«تكيف» أو اقتباس مارتن سكورسزي رواية نيكوس كازانتزاكيس «الأغواء الأخير للمسيح» (1988). كما أشارت الأنواع الأخرى بالمثل إلى ملاحم محاكاة ساخرة: الأكثر شهرة في هذا النوع فيلم «حياة براين» (1979). لكننا نرى أن العالم القديم لا يزال موجوداً في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته عبر إنتاج مسلسلات تلفزيونية مثل «مسعدة» (1981) و«تكيف» أو اقتباس مارتن سكورسزي رواية نيكوس كازانتزاكيس «الأغواء الأخير للمسيح» (1988). كما أشارت الأنواع الأخرى بالمثل إلى ملاحم محاكاة ساخرة: الأكثر شهرة في هذا النوع فيلم «حياة براين» (1979). وما تلاها من آثار تلمس على خطاها. كما تم حفظ أفلام دورة الخمسينيات والستينيات في الوعي العام من خلال العروض التزلية وتلك المتكررة على شاشات التلفزيون.

شهدت ملاحم العالم القديم انتعاشاً بعد فيلم «غلابايتر» (2000)

وحتى اليوم، لا يكتمل عيد الفصح أو عيد الميلاد في المملكة المتحدة من دون عرض فيلم «بن هور».

شهدت تسعينيات القرن الماضي أيضاً تجديد الاهتمام بالملاحم التاريخية بإنتاج مجموعة من الأفلام منها «الرقص مع الذئاب» (1990)، و«قلب شجاع» (1995)، و«إبقت الخندي رايا»، (1998) و«تابيتانك» (1997)، ما أفسح في المجال لفيلم «غلابايتر» لريدلي سكوت وهناك رأي بأن هذه الدورة نتاج مجموعة من السينمائيين مثل كيفن كوستنر وميل غيبسون وجيمس كاميرون وغيرهم ممن تشكلت هويتهم في طفرة المواليد بعد الحرب العالمية الثانية وأضحوا أبناءً في تسعينيات القرن الماضي وكان النظر مجدداً إلى أنواع طولتيم الخاصة نوعاً من النوستالجيا.

يواصل الكاتب استعراض الأعمال الملحمية قائلاً: «بالمثل، يمكن تطبيق هذه النظرية على المخرجين الحاليين مثل ج. جي أرمازن، والأخوين باقر الذين أقروا بأن جنهم أطفالاً لأفلام الخيال العلمي في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته أثر في عملهم في هذا النوع من الأفلام. على سبيل المثال، قال غيبسون إن فيلم «قلب شجاع» هو خليفة طبيعي لفيلم «بن هور» و«سبارتاكوس».

شرح مشكلة غياب الكيمياء بين نوايا الكاتب والناقد والمشاهد إذ يقول: في حالة أوليفر ستون «الإسكندر» (2004)، أصبحت الجمالية - بدأت ملاحم العالم القديم بالعودة عبر أفلام الرسوم المتحركة الموجهة للمشاهدين الصغار، ومنها فيلم «هرقل» (1997) والمسلسل التلفزيوني «هرقل: الرحلات الأسطورية» (1995 - 1999)، و«زينبا: الأميرة المحاربة» (1995 - 2001). مع ذلك، عادت ملاحم العالم القديم بالكامل إلى شاشات السينما مع إطلاق فيلم «غلابايتر» لمدن لسابقته على نحو عام، ولا سيما «سقوط الإمبراطورية الرومانية» (1964)، و«سبارتاكوس»، لكنها استكملت السرد السابق وحذّثت جمالية هذا النوع لجذب الجماهير المعاصرة المتخ والتر باركنس قال عن تلك الإنتاجات «إنهم أرادوا تجنب دلالاتها التي خلفتها الأفلام مع مجموعات من الرجال الذين يرتدون التتائخر والصفال». وشمل ذلك كتم ألوان دورة الخمسينيات والستينيات مع تنمية شخصيات الأفلام وإزالة الإشارات العنقية إلى الروايات الكتابية أو المسيحية وتصعيد العنف في أعقاب فيلم «نقاد الجندي رايا».

كما تعامل الكاتب مع مجموعة من المصطلحات التي وظفها في مؤلفه ومنها الرمز/ الحان/ الاستعارة، مستعيناً بتعريف إسماعل كزافيهه أستاذ السينما في البرازيل وصاحب مؤلف عن المادة الذي قال: إن الرمز يجسد مفهومًا أو فكرة أو أخلاقاً مخفية ضمن نص، ويجادل بان قدرة الرمز على إخفاء المعنى في النص الفرعي، قد مكّنته من اكتساب أهمية خاصة خلال الفترات التي تمارس فيها السلطات الاستبدادية السيطرة على نشر الصور والنصوص وأشكال التعبير الأخرى. كما يسمح الرمز بنقل الرسائل إلى جمهور معين في حين أن أولئك الذين قد يعارضون الرسالة إما غير مدركين أو غير قادرين على إثبات وجودها. مع ذلك، إن فهم الجمهور المستهدف الرسالة الخفية يتطلب المصطلح من الوعي والفهم المتبادلين من كل من الكاتب والقارئ. أما الأكاديمي الأمريكي المتخصص في الميديا، دانيال هيربرت فلاحظ أن تحليل الرموز لا يزال يمثل مشكلة، أي تحديد ما إذا كانت النصوص مجازية أم أنها أصبحت كذلك من خلال التفسير المجازي.

إضافة إلى ما سبق، يلاحظ الكاتب أن خلق المعنى في السينما يتطلب الكيمياء بين نوايا الكاتب وجدول أعمال الناقد. وأن الرمز والمحايل لا يقتصران على العوامل السردية، إذ يمكن العثور عليهما أيضاً في المشهد الصوتي والموسيقى التصويرية والتحرير، ما يجعل بلخص الكاتب محثوي مؤلفه العام بالقول: «تتضمن ملاحم الخمسينيات والستينيات عادة الإيمان كمحفز للتغيير، لكن في دورة ما بعد «غلابايتر»، تم استبدالها بالعنف،

وتحديداً في سياق الحرب». بعدها، يتنقل المؤلف إلى تلخيص فصول كتابه قائلاً: «من أجل إثبات هذا التغيير، يحدد الفصل الأول «الحرب والإمبراطورية: ملاحم العالم القديم وبالمثل، نتجت عن تجربة ستون القتالية المباشرة في الصراع وتصورها لاحقاً في فيلمه القتالي شبه السيري «بلاتون» (1986). وفي مثل هذه القراءات الفردية تتجاهل ثروة المعنى القديمه للإسكندر الأكبر، سمح ستون، ربما

عن غير قصد، برسم أوجه تشابه مماثلة بين فيلمه والأحداث في العراق وأفغانستان. لكن ولا سيما «سقوط الإمبراطورية الرومانية» الرمزي والتاريخي والاستعاري لثروة يتخلل قصص الفيلم وتصويره للحرب القديمة وبناء الإمبراطورية. ففيلم «الإسكندر» محاولة طموحة لتصوير الحياة الغزيرة للغازي داخل حدود فيلم سردي واحد. لكن رغم افتتان صانعه بشخصية الإسكندر وحيه الواضح لهذا الموضوع، إلا أن الفيلم حصد عائدات منخفضة للأعمال في شبكات التذاكر واستحبابية وخشية من النقاد. كان الفيلم منذ ذلك الحين موضوعاً للعديد من الأعمال الأكاديمية، خاصة تلك المستمدة من الكلاسيكيين الذين يستجيبون لمحاولة ستون لإنارة فيلمه بكميات وفيرة من التفاصيل التاريخية.

يتعامل الكاتب مع هذه المسألة في الفصل الثالث بهدف تحليل الفيلم بالعلاقة مع مخرجه وفيلمه بدلاً من الشخصية التاريخية للإسكندر الأكبر. ستون، والكلام للكاتب، سينمائي سياسي صريح، وغالباً ما يكون متخبراً للجدل حيث تهم معظم أعماله بالتاريخ والمجتمع الأمريكي في القرن العشرين. لذلك، فإن فيلم «الإسكندر» يعد شيئاً شاذاً ضمن دائرة افلامه السينمائي، لكن من خلال استكشاف موضوعاته وبنيتها وصوره، فمن الواضح أنه فيلم أوليفر ستون المثالي.

يواصل الكاتب التعامل مع الجوانب النظرية المرتبطة بالمجازية ويسوغ سبب تركيزه على الأفلام الأنطو. أميركية على نحو أساس لأن التعليق في الغرب تركّز على أحداث 11 أيلول والحرب على الإرهاب وغزو الولايات المتحدة العراق وأفغانستان، وعلى أميركا وتصريفاتها وبريطانيا أيضاً. ويفترض أنه من المرجح أن تتعرّف الجمهور المحلي في هذه الأسواق على أي قراءات مجازية أو مشابهة في الأفلام العادية التي يكتبها ويحللها. أي كيفية استقبالها. لكن صناعة الأفلام في هوليوود المدفوعة بالحوافز المالية عادةً ما تدفن «المعنى» في الغموض النسبي حتى لا تزدج الجماهير المحتملة. يلخص الكاتب محثوي مؤلفه العام بالقول: «تتضمن ملاحم الخمسينيات والستينيات عادة الإيمان كمحفز للتغيير، لكن في دورة ما بعد «غلابايتر»، تم استبدالها بالعنف،

الثلاثاء 17 شباط 2020 العدد 3982 ■ الاخبار 23 ثقافة وناس



من فيلم «300»

إنها الحرب في هوليوود المعاصرة

(2010) و«غضب الجبابرة» (2012)، خصص الكاتب الفصل السادس (بلاد الأحرار، روما الأنطال: الإيمان والتعذيب والإمبريالية في فيلم «الملك آرثر» 2004) لتحليل الملاحم الرومانية «الملك آرثر» و«الفيلق الأخير» وقائد المئة» و«النسر» جميعها تصور قصصاً عن الاحتلال؛ أما الملاحم الدينية «اغورا» و«الأم المسيح» و«نوح» و«سفر الخروج: الهة وملوك» و«بن هو»، فتتعامل مع الإيمان والصراع الديني.

الفصلان الثاني «زمن أخيلس: الذاكرة والحرب في فيلم «طرودة» والثالث «الحالمون يرهقوننا: القاصون وأفلام القتال في الإسكندر»، يبحثان في تأثير الفيلم القتالي في الروايات المدفوعة بالحرب مثل فيلمي «طرودة» و«الإسكندر».

الفصل الرابع «هل هذه إسبرطة؟ الحرب والحرية وأميركا في فيلم 300، يناقش تأثير الفيلم القتالي في الرواية المدفوعة بالحرب عبر تحليل فيلم «300».

الفصل الخامس «سياسة الجسد: الهة ورجال وحوش في 300 والملحمات الميتولوجية الإيمانية واليهول والبرويوأنغدا في فيلم «الأم الإغريقية»، يوسع النقاش في فيلم «300» لتقويم حالة الفيلم كإقتباس لرواية مصورة ما يتعلق بالحروب في العراق وأفغانستان

و«صراع الجبابرة» (2011) و«صراع الجبابرة» الثانية من ملاحم العالم القديم التي وصلت في عام 2014، بما في ذلك استمرار الملحمة اليونانية الماثرة بنوع الأفلام عن الإغريق والرومان، مع إنتاج أفلام «هرقل» و«أسطورة هرقل» و«300: صعود الإمبراطورية» وفيلم الكوارث الروماني «يومي» وكذلك عودة الملحمة التوراتية في فيلمي «نوح»، و«سفر الخروج: الهة وملوك» اللذين مهّدا الطريق لفيلم «البعثات» و«بن هور» في عام 2016. في تحليل هذه المجموعة الأخيرة من الأفلام معاً، تتخلق صورة واضحة عن كيفية تطور هذا النوع من المواضيع بشكل جمالي منذ ذلك الحين منذ نهاية الحرب على العراق.

عند تحليل المؤلف تلك الأفلام جمعياً، يقدم الكاتب نظرة شاملة على إحياء ملاحم العالم القديم في أعقاب فيلم «غلابايتر» بهدف استكشاف علاقتها بالمناخ الاجتماعي والسياسي الذي تم فيه إنتاج هذه الأفلام ودراسة علاقتها بدورة الخمسينيات والستينيات وكذلك الفيلم في الأنواع الأخرى والنظر في كيفية تعاملهم مع المناقشات حول الأفلام التاريخية كتاريخ. كما يسعى الكاتب إلى المساهمة في شرح مفاهيم الفيلم كفن وصناعة وتاريخ، وكيفية تقاطعها في التصوير السينمائي للعالم القديم. الكاتب لا يقصر عروضه ومناقشته على المصطلحات والأفلام التي أشرنا إليها في هذا العرض، إذ إنه يتعامل مع مجموعة كبيرة من أفلام أخرى ذات علاقة بموضوع المؤلف ومنها العائدة حتى إلى ثلاثينيات القرن الماضي وأربعينياته.